Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على إمتاعهم بمثله، ويثنون عليه ثناء لا يلبث أن يصير إعجابا.. وخليق أن تحدث هذه الحال الجديدة الناشئة عن شعوره الجديد، تطورًا فى أغراضه وبواعثه، فيصبح ما كان ضرورة جسمية ذاتيه - كالطعام - فنًا عمليًا، يزاول ويعالج ويتعهد بالتهذيب والتنقيح والتجويد. ويصبح ما كان فى أصله وحيًا، لا حيلة له فيه، عادة وأسلوبًا وسرعان ما يصيح الشاعر يقلد نفسه. فإذا كرت الأيام ودار الزمن... ذكر الشاعر... أن غريزته مازالت تلهمه وتوحى إليه. ولكن عمله فى الواقع قد صار صناعة تقسره عليها «الإرادة الذكية والرغبة الملتهبة». ومازال يطلب إرضاء نفسه - وهو يعالج عمله - ويبغى الترفيه عنها من ضغط عواطفه. ولكنه قد أصبح طماح العين كثير المراغب، يفكر فى جمهور قرائه وعشاقه، ويحلم بما يمنى به نفسه من النجاح»[1].

أن هذا النص يكشف عن أن الإلهام كان غير إرادى عند البدائيين المتوحشين من البشر، عندما كان الشعر هواية لهم، ثم انقلب إلى عمل إرادى عندما ظهر الشعراء المحترفون، الذين أحسوا بما يملكون من موهبة، وقدرة على التأثير فى الناس، ونيل إعجابهم. فحرصوا على هذا الإعجاب، وبحثوا عن المسالك المؤدية إليه، والتزموا أن يضعوا فى أشعارهم ما يعجب المستمعين إليهم، وأن يبرئوها من كل ما يعيبها فى نظرهم. وهذا عمل الإرادة.

ومما يؤكد هذا الفهم قوله الذى كرره فى أول النصوص وآخرها: «الإرادة الذكية والرغبة الملتهبة».

ونجد عند العقاد قولاً يقرب من قول المازنى فقد كتب فصلاً عن توماس هاردى، أطال فيه الحديث عن صناعة الشعر، وأتى بأمثلة متعددة من شعراء الغرب والعرب وكتابهم ثم أجمل رأيه فى قوله: «كل شعر فى الدنيا إنما نجم لأن قائله أراد أن ينجمه، لا لأنه هكذا يجب أن يقال. وقد يريده الشاعر ويشقى به أشد الشقاء، ثم يجيئنا بالقصيد، فنقول: «أجل هذا كلام يوشك أن يقال بغير قائل. وصاحب الكلام يعلم أنه لو لم يرده ويقتسره على ما أراد، ويسهر الليل فى تطويع معناه لنغمته ولفظه، لما صاح البلبل ولا تدفق الينبوع»[2].

وذهب أبو شادى إلى أن العقلين الواعى والباطن يتعاونان فى إنتاج الشعر، وأن تفاوت الانسجام بينهما من عمل إلى آخر، قال: «عندى أن أديب الذكاء والصناعة يعتمد أولاً على عقله الواعى خلافًا للأديب المطبوع، ويلوح لى أن العقل الباطن متصل بجوانب الخلق

---

(١) الديوان ١١٥.

(٢) محمد خليفة التونسى: فصول من النقد عند العقاد ٢٧٣، ساعات بين الكتب ص٢٦٨.